

## قرم مصري يهزم تنمر المجتمع

أحمد عبدالناصر شريف

بطل الجمهورية الذي ينتصر بإرادته



● حصول شريف على بطولة جمهورية مصر لألعاب القوى، وفوزه بميداليتين ذهبيتين، ليبدأ بعد ذلك طريقه نحو المزيد من التفوق، بجعلانه حديث الكثيرين على مواقع التواصل الاجتماعي بمصر خلال الأيام الأخيرة.



● شريف يبدو اليوم كنموذج لكل قرم في مصر يطمح إلى التفوق، وأصبح الفتى ضئيل الحجم، كبير الطموح، دليلا على أن الفرد صاحب الإرادة أقوى من تراث الاستعلاء السائد لدى البعض.

الرياضيون حوله يدركون أن منتخب كرة القدم لقصار القامة غير رسمي، ولن يستمر كثيرا، ما يعني أن شريف لن يحقق حلمه بالتميز والتفوق، ما يلزمه بتتويج ألعابه وممارسة ألعاب أخرى، لذا شجعه على التدريب

من عبنة "الطول هيبسة، والفُسر خيبة"، و"الطول عز"، و"الطول فخر ولو من خشب، والقصر عار ولو من ذهب"، إلى جانب شيوع حكم ومواقف مستغربة مثل "اتق شر كل من اقرب من الأرض".

يتحدث شريف كثيرا، عن حلم حياته بأن يصبح مدربا كبيرا لأحد أندية كرة القدم في مصر، ولديه ثقة في أن الأمر قابل للتحقق، رغم أن أحدا لم ير قرما يتعين مديرا فنيا لأي من أندية الكرة المعروفة، ومع ذلك يدرك أن عدم وجود أمثلة سابقة لا يعني أبدا استحالة الوصول لما يتمناه، لأن عناية الله قد تدخره ليكون هو المثال الممكن.

ويُصر الفتى المصري على ضرورة الالتحاق بكلية التربية الرياضية، ويطالب بتجاوز اشتراطات القبول بها والتي تتضمن أن يكون طول الطالب طبيعيا ومناسبا في قوامه العام، ويرى أنه استطاع تحقيق التفوق الرياضي رغم أن كافة التصورات السابقة كانت تستبعد ذلك، ويقول طالب ما في كلية يرغب فيها لا يجب أن يعتمد على اشتراطات شكلية، لذا إنصاع على مجموع بعينه، لذا فإنه يُرسل عبر وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي منشادات للمسؤولين عن كليات التربية الرياضية لقبوله حال نجاحه في امتحانات نهاية العام، وهو على ثقة من أن طلبه سيُقبل. صار شريف نموذجا لكل قرم في مصر يطمح إلى التفوق، وأصبح الفتى ضئيل الحجم، كبير الطموح، دليلا على أن الفرد صاحب الإرادة أقوى من تراث الاستعلاء السائد لدى البعض.

يُمكن لكثير من ضحايا التنمر تجاوز السياجات البشعة التي وجدوا أنفسهم فيها، ليس فقط بالرياضة والتفوق، وإنما يكسر ذلك بتفوق إبداعي وعلمي وفكري، فالإنسان القوي لا تحبطه نظرة ازدرأ أو ظلم مجتمعي أو فردي.

الخاصة بالمعاقين في الدول العربية بإدراج الأرقام ضمن فئة المعاقين، وهو اتجاه بدأ يلقي رواجاً واهتماماً مؤخراً. ويسود لدى البعض اعتقاد جازم بأن هؤلاء أشخاص سيئو المزاج، وأكثر عصبية، وخارجون عن الطبيعة المعتادة، وثمة من يرونهم شؤما.

ولا يرحب الكثير من أصحاب الأعمال بتشغيل الأرقام، اعتقاداً منهم بضعف همتهم أو قلة الذكاء، مقارنة بغيرهم من البشر. ومستبعد طبقاً لدراسات اجتماعية أن تقبل فئسة طليعية الزواج بأي منهم، ما جعلهم يتزوجون من بعضهم البعض. ويتعرضون للسخرة خلال تعاملاتهم اليومية مع المجتمع، فيطلق البعض عليهم مسميات مهينة ومسيئة.

## حلم مؤجل

يدخل في نطاق النظرية الدونية الموجهة نحو الأرقام، حرص السينيما والدراما في مصر دوماً على إظهارهم بشكل كوميدي أقرب إلى السخرية، فلا يتم تقديم أي منهم باعتبارهم طبيبا أو مهندسا أو أي مهنة مقبولة اجتماعيا، وإنما في الغالب يظهرون كأشخاص غير متعلمين أو مشردين.

وفي فيلم "الأرقام قادمون" إنتاج 1986، بطولة يحيى الفخراني وليلى علوي، وإخراج شريف عرفة، يستولي رجل أعمال على أرض تخص مجموعة أرقام، ويقرر بطل الفيلم مساعدتهم لاسترداد أرضهم، وهو العمل الوحيد الذي أنصفهم، وحمل قدرا من

الشفقة عليهم كفتة ضعيفة تحتاج إلى مساعدة، فحتى الفلكلور الشعبي المتوارث كرس فكرة الأرقام انهم مسؤولون تقزيمهم، وتنتظر إليهم نظرة شديدة الدونية. غالبا لا تهتم الكثير من التشريعات عليهم كفتة ضعيفة تحتاج إلى مساعدة، فحتى الفلكلور الشعبي المتوارث كرس فكرة الأرقام انهم مسؤولون تقزيمهم، ففاسحت أمثال شعبية مهينة لهم

على ميدالية ذهبية، ثم شارك في بطولة أخرى لرمي الرمح لم يلبث أن فاز فيها أيضا بميدالية ذهبية، ليشعر أنه قادر على تحطيم كافة العنقبات وعبور حواجز الاستبعاد لكونه غير مكتمل النمو.

## صناعة المستقبل

في لقاء مع إحدى الفضائيات، قال القرزم الرياضي المتميز، إنه يدرك أن الإنسان بإمكانه أن يصنع مستقبله ويحقق النجاح إذا أراد ذلك، حيث تعلم ذلك من سير وحكايات أبطال العالم في مختلف مجالات الرياضة. وكان قد اطلع على قصص شخصيات قوية وبارزة وناجحة استطاعت تغيير الواقع السيء من حولها، وتغلبت على نظرة المجتمع السلبية تجاهها، ما منحها دفعا لقبول التحدي ومواجهته والانتصار عليه.

كل إنجاز حققه يدفعه إلى التطلع إلى ما هو أبعد منه، وأثبت ذاته في بطولة الجمهورية الأولى لألعاب القوى في السباق، وأندفع بعد ذلك إلى المشاركة في البطولة التالية والخاصة بلعبة رمي الرمح لأطول مسافات ممكنة، ثم تطلع إلى أبعد من ذلك عبر تسجيل اسمه للمشاركة في بطولات عالمية تخص أصحاب الإعاقة، وينتصر بالفعل في أول بطولة دولية ليُمثل بلده فيها.

قد تولد الأرقام صغيرة بحجم ما هو متاح من واقع محيط، ثم تنسج وتكبر كلما تحقق منها حلم، فتبدو مبهرة لأصحابها وكأنها كانت ضرورية من المستحيل بالنسبة إلى بداياتهم. وهكذا تضي الحياة بالحالمين الصغار عموما. إن ما دفع الكثير من الناس إلى الاهتمام بحكاية الشاسب البسيط الذي يتجاوز طوله المئة سنتيمتر بقليل، هو أن الصورة الذهنية السائدة عن الأرقام تستغرمهم وتراهم شخصا ناقصين. فالغالبية من أفراد المجتمع اعتادوا النظر إلى الأرقام عموما بصورة دونية نصفها سخرية، ونصفها الآخر شفقة.

وترتبط ظاهرة التقزيم بشكل كبير بالفقر وسوء التغذية، وشيوعها في بلدان العالم النامي وبعض الدول العربية، وأشارت إحصائية عالمية عن الأرقام إلى وجود أكثر من 150 مليون شخص مصاب بالتقزيم، مع ذلك فالمجتمعات ضعيفة الوعي، منحردة التعليم، شحيحة الثقافة تحفل بالأرقام أنفسهم مسؤولية تقزيمهم، وتنتظر إليهم نظرة شديدة الدونية. غالبا لا تهتم الكثير من التشريعات



فيلم «الأرقام قادمون» الذي لعب بطولته يحيى الفخراني وليلى علوي، وأخرجه شريف عرفة، يستولي فيه رجل أعمال على أرض تخص مجموعة أرقام، فيقرر البطل الفخراني مساعدتهم لاسترداد أرضهم، وهو العمل السينمائي الوحيد الذي أنصفهم

لكن قصر قامة الولد الصغير المتميز في كرة القدم عن أقرانه جعله دائما محل استبعاد من المدربين الذين كانوا يعتقدون أن قصره يقلل من مهاراته. لم يستسلم لتلك النظرة المحدودة المتعجلة، ولم يستجب لضغوط المجتمع من حوله ويقبل بالتخلي عن حلم حياته، فأصر على مواصلة التدريب والمشاركة في مباريات مع الكبار، ثم التقدم إلى كل مسابقة لاختيار لاعبين جدد، مظهرها براعته ومهارته في الحاور بالكرة. مرة وراء أخرى ذاعت شهرته، وأدرك من حوله حقيقة موهبته وتنوع قدراته وصار محل اهتمام مسؤولي الرياضة في النادي الرياضي الحكومي الموجود في بلدته الصغيرة. وصار له مشجعون كثير شاهدوا موهبته وتابعوه عن كثب وسعوا إلى استثمارها وتوظيفها لتحقيق حلم حياته، وكان على رأس هؤلاء والده الحنون التي كانت تدعوه دوما إلى تجاهل الإحباط الذي يواجهه، وتدعمه وتشجعه وتحفزه للاستمرار في اللعب والسعي الدائم إلى تحقيق هدفه. دون ترتيب سحنت له الفرصة عندما علم بقيام ناد إقليمى صغير، هو نادي أوسيم بمحافظة الجيزة، في جنوب القاهرة، بتكوين فريق كرة قدم جديد مخصص لقصار القامة فقط.

تقدم بالفعل للاختبار، ولم يلبث أن لفت انتباه مسؤولي النادي، وتم قبوله بالفريق، ونصح بعض مدربيه بممارسة ألعاب رياضية أخرى إلى جانب كرة القدم ليحافظ على لياقته، وبالفعل مارس الحالم الصغير ألعابا فريدة ضمن ألعاب القوى، مثل رياضة العدو لمسافة مئة متر، ورمي الرمح، وغيرهما من الألعاب التي لم يسبق له ممارستها. كان الرياضيون حوله يدركون أن منتخب كرة القدم لقصار القامة غير رسمي، ولن يستمر كثيرا، ما يعني أنه لن يحقق حلمه بالتميز والتفوق، ما يلزمه بتتويج ألعابه وممارسة ألعاب أخرى، لذا شجعه على التدريب. في أول بطولة تم تنظيمها للعدو شارك أحمد بتشجيع مدربيه، وبالفعل فاز ببطولة الجمهورية، وحصل

كشف المفكر سعيد المصري في كتابه القيم "تراث الاستعلاء"، أن هناك أنماطا أربعة للتمييز الثقافي في مجتمعاتنا العربية، هي: المتعمد، ثم الخفي أو غير المباشر، ثم القائم على التنميط الإحصائي، وأخيرا الذي يعتمد على ممارسات الثقافة في الحياة اليومية.

والتميز تمييز مجتمعي ببعض. قد يُحبط الأناض واليخفق الإسمال ويُجرجر المجتمعات إلى هوة التخلف والتفسخ واللاعدل. وليس هناك من قوة تقهره أفضل من الإرادة والعزيمة والقدرة على مواجهة الصعاب والتحديات. يعد الأرقام في كثير من المجتمعات العربية من أبرز الفئات التي تواجه تنمرا وتمييزا متنوعا، يدور بين الأنماط الأربعة السابقة، ما يجعل أي كسر لظاهرة التنمر التي يواجهونها أمرا لفتا ومُههما، وباعثا لروح التحدي اللازمة لظهر ظواهر المجتمع السلبية.

بدأ الشاب المصري صاحب الأرقام السبعة عشر، أحمد عبدالناصر شريف، مُخيرا للاهتمام والانتباه، حيث رفض تنمر المجتمع تجاهه لكونه قرما، وتمكن بقدرة الفائقة من الرد على التنمر بشكل عملي من خلال تفوقه الرياضي، وحصوله على بطولة جمهورية مصر لألعاب القوى، وفوزه بميداليتين ذهبيتين، ليبدأ بعد ذلك طريقه نحو المزيد من التفوق، ما جعله حديث الكثيرين بمصر على مواقع التواصل الاجتماعي خلال الأيام الأخيرة.

كانت كافة أشكال التمييز المجتمعية واضحة أمام الشاب القادم من قرية صغيرة، لا يكاد يعرفها أحد تدعى "شباب الشهداء"، بمركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ، شمال القاهرة، وكان واعيا لما سيواجهه من تنمر وتمييز، وعلى قناعة بأنه صلب، ولم يكن غريبا أن يكرر في حوارات إعلامية أنه بدأ الطريق نحو العالمية، وأي شيء مهما كان لن يُخنيه عن التفوق الرياضي. رأى مبكرا أن نظرات الأذراء به والاستهانة تدفعه إلى التفوق وليس الإحباط، وأدرك أن البعض من حوله يستكثرون على شخص غير مكتمل النمو السطوح والتميز، تحت اعتقاد بأن التميز في الرياضي بحاجة إلى جسد مكتمل. حلم منذ صغره بنجومية لاعب كرة محترف يُجدد مهارات عدّة، مؤمنا بأن التميز في كرة القدم قلب حيوات الكثير، وغير واقع أناس نشاوا في عائلات فقيرة ومنسية اجتماعيا، شاء القدر لها أن تنغرس في عمق الريف.

مصطفى عبيد كاتب مصري

مصطفى عبيد كاتب مصري

مصطفى عبيد كاتب مصري